مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

# معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية

إعداد

د. محمد بن سعيد بن عبد الله بافيل

الأستاذ المساعد في التربية الإسلامية - كلية التربية بجامعة جدة

- من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٨٦هـ.
- تخرج في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٤٠٩هـ.
- نال شهادة ماجستير في التربية الإسلامية من كلية التربية بجامعة أم القرى عام ١٤٢٧هـ، بأطروحة (المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الفتن من صحيح الإمام البخاري). كما نال شهادة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٣٦هـ، بأطروحة (دور مقررات التربية الإسلامية والأنشطة الطلابية بالمرحلة الثانوية في تعزيز تعظيم حرمات الله لدى الطلاب: دراسة ميدانية).
- من أعماله المنشورة: (الشراكة المجتمعية من منظور تربوي إسلامي).
- البريد الشبكي: msbxxx1@gmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٣/٣/٢١هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٣/٤/٤هـ)

## الملخص

**عنوان البحث:** معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية.

**أهداف البحث:** أهمها ما يلي:

- إبراز أهم معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية، وآثارها في صناعة المسلم وتربيته.
- توجيه عناية المربّين للاهتمام بخاصية الربانية في مشروعاتهم العلمية والعملية.

**منهج البحث:** المنهج الوصفي في أسلوبه النظري التحليلي لاستنباط معالم التربية الربانية من النصوص القرآنية.

**أبرز نتائج البحث:**

١. الربانيون فئة أخصّ من العلماء؛ جمعوا بين العلم والفقه والحكمة والبصيرة، والقيام على أمر إصلاح الناس. ٢. أجلّ سمات الربانيين سموّ غايتهم، وجلالة مقصدهم، فلا يطلبون شاهداً لأعمالهم غير الله تعالى. ٣. يمتاز الربانيون برسوخهم في علوم الشريعة، وجمعهم بين العلم والحكمة والفقه في الدين. ٤. الربانيون أكثر الناس تألّهاً وتعبّداً، وأشدّهم تمسّكاً بطاعة ربّهم وامتثالاً. ٥. الربّانيّون علماء بالله، عاملون بشريعة الله، جمعوا بين الفقه والعمل، وتخلّقوا بأخلاق العلم ظاهرا وباطنا. ٦. التربية الربانية تغرس في وجدان المسلم أن يكون فردا فاعلا أيّا كان موقعه، معطاء في كل أحواله.

وأوصى الباحث في ختام بحثه بأهمية الكتابة في سير الربانيين، ومدارسة تراجم حياتهم، والكشف عن جوانب الربانية التي تحلّوا بها، والمقومات التي ساعدت على تحقيقها في سلوكياتهم وحياتهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،


**الكلمات المفتاحية:** النصوص القرآنية – التربية – الربانية – معالم.

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد قدّر الله تعالى لهذه الأمة أن تكون آخر الأمم وجودا، واصطفاها تعالى بخاتم الرسل والنبيين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]، وجعل كتابها المنزّل ناسخا لما قبله من الكتب السماوية، وشاهدا ومصدقا عليها، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ الآية، [المائدة: ٤٨].

وامتازت التربية الإسلامية بأن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأهم من مصادرها، وبه سمت وعلت على غيرها من المناهج التربوية الأخرى، «وقد اشتمل القرآن الكريم على ما ينمي الفرد والمجتمع على الخير، وما يصلح حياتهم وينظّم شؤونهم، ويحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويبعدهم عن الشرور، وعن المثبّطات والمعوّقات»(١).

وترتّب على صدارة القرآن الكريم في مرجعية التربية الإسلامية ومصادرها؛ أنها جاءت للفرد والمجتمع بأكمل منهاج، وأقوم تربية، وأشمل إصلاح، وأحسن تنمية، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فالقرآن الكريم «أهم مصدر من مصادر بناء الإنسان المسلم؛ لأنه نزل لهداية البشرية إلى ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم»(٢).

إن التربية القرآنية تصبغ الفرد بصبغة خالقه وفاطره، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وتهذّبه بأخلاق القرآن، وتؤدّبه

(١) أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي، (ص ٢٢٤).

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، (ص ٢٢).

بآدابه، وقد سُئلت عائشة ﵂ عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقُه القرآنَ»(١).

وهذه التربية المباركة تستمدّ جميع أصولها ومبادئها من سور القرآن الكريم وآياته، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء:٩، ١٠].

والتربية التي تُؤسَّسُ بكلام الله تعالى، وتُبنى أصولها بمنهج القرآن الكريم؛ ترتقي بالمسلم إلى أعلى درجات الكمال والتمام، وتحلّيه بأنفس مراتب الخلق والأدب.

وقد امتدح الله في كتابه طائفة من خلقه، ونسبهم إلى اسمه الجليل (الربّ)؛ نسبة تشريف وتخصيص، إذ جاء وصفهم (الربّانيّون)، في ثلاثة مواضع من آي الذكر الحكيم:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٦٨ رقم ١٧٧٣)، وأحمد (٤١/ ١٤٨ رقم ٢٤٦٠١).

وفي سياق الآيات الكريمات يتجلى ثناء الله تعالى على الربانيين، وتشريفهم بالقيام بأمر الله تعالى.

وعند تدبّر تلك الآيات والتأمّل في دلالاتها؛ تظهر جملة من المعالم الجليلة، والصفات الحميدة للرباني، وهي في مجمل أقوال المفسرين أنه «الحكيم والراسخ في العلم والعالم والفقيه والعاقل؛ لأنه يربي بصغار العلم قبل كباره، ويوفى كل أحد حقه حسبما يليق به، وقد تحقق بالعلم وصار له كالوصف المجبول عليه، وفهم عن الله مراده»(١).

ولجلالة المحامد التي ذُكرت في صفات الربانيين؛ جاءت فكرة هذا البحث، الذي يسعى فيه الباحث إلى إبراز أهم معالم الربانية التي وردت في مدح الربانيين والثناء عليهم في الآيات القرآنية.

**موضوع البحث:**

تعتبر التربية بالقدوة أهم أساليب التربية، وأكثرها نفعا وتأثيرا في المتربّين، وقد أمر الله تعالى نبيّه محمدا ﷺ بأن يقتدي بمن سبقه من الرسل، فجاء التوجيه الرباني له بعد الحديث عن طائفة من الرسل ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، كما أوصى المولى جل وعلا هذه الأمة بالاقتداء والتأسي بنبينا ﷺ، فقال عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وفي سياق إبراز القدوات الحسنة في الخطاب القرآني؛ عطف الله تعالى بذكر الربانيين بعد الرسل الكرام في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ

(١) الموافقات، للشاطبي، (٤/ ٢٣٢).

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، «وقد جعل الله الربانيين تالين للأنبياء الذين هم أولو الدّين، فهم خلفاء ينهون الخلق بممارسة أحوالهم أكثر مما ينهونهم بأقوالهم»(١).

إن الربانية مرتبة جليلة عند الله تعالى، ومنزلة سامية تتطلع التربية إلى الارتقاء بالمسلم لبلوغها، والرباني «هو الكاملُ في العلم والعمل، الشديدُ التمسكِ بطاعة الله ﷻ ودينِه»(٢).

وقد جاء في توصيات بحث (مفهوم الربانية في المصطلح القرآني الكريم) قول الباحث: «فإني أوصي بأن يكون التوصيف الشرعي لسمات العلماء الربانيين، وواجباتهم، ومعالم الدور الإصلاحي المنشود عن مثلهم؛ محل العناية المستفيضة في بحث علمي -أو أبحاث- مما يتناسب مع أهمية هذه الفئة، وضرورة دورها الذي تفتقر إليه أمة الإسلام في هذا الزمان»(٣).

وبناء على ما سبق؛ جاءت هذا الدراسة لإبراز جوانب من ربانية التربية القرآنية، وكان السؤال الرئيس للدراسة:

**ما معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية؟**

ويتفرّع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم الربانية في لغة العرب وكلام علماء الشريعة؟
٢. ما مفهوم الربانية في كلام علماء التربية؟
٣. ما معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية؟

---

(١) تفسير القشيري، (١/ ٤٣٦).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، (٢/ ٥٢).

(٣) مفهوم الربانية في المصطلح القرآني الكريم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد (٢٧) (ص٢٠٠).

**أهداف البحث:**

يسعى الباحث في دراسته إلى ما يلي:

- بيان مفهوم ربانية التربية الإسلامية في كلام أهل اللغة، وعلماء الشريعة.
- التعرف على تفسير علماء التربية الإسلامية لمفهوم التربية الربانية.
- إبراز أهم معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية، وآثارها في إعداد المسلم وتهيئته للقيام بأدواره ومسؤولياته.
- توجيه عناية المربّين للاهتمام بخاصية الربانية في مشروعاتهم العلمية والعملية.

**أهمية البحث:**

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال:

- بحثها في استنباط الدلالات التربوية لمفهوم الربانية من نصوص المصدر الرئيس للتربية الإسلامية.
- إحياء سنّة السلف الصالح في تدبّر آيات الكتاب الحكيم، وفهمها، والعمل بمدلولاتها.
- إبراز سمات الصفوة الربانيين في الأمة؛ في زمان تزداد فيه الحاجة إلى وجود القدوات الحسنة، والنماذج المثلى.
- تزويد المربّين بأولويات المنهج التربوي في صناعة الربانيين ورعايتهم.

**منهج البحث:**

يستخدم الباحث المنهج الوصفي في أسلوبه النظري التحليلي من خلال دراسة الآيات القرآنية التي وردت في وصف (الربانيين)، والبحث في كلام أهل العلم والمختصين في معانيها وبيان مدلولاتها، واستنباط معالم التربية الربانية التي أشارت إليها الآيات بمنطوقها أو مفهومها، وما اشتملت عليه من جوانب تربوية، وذلك بالرجوع إلى عدد من كتب التفسير المعتبرة، والمصادر والدراسات ذات العلاقة.

**حدود البحث:**

يقتصر البحث في حدوده الموضوعية على بيان معالم الربانية في الآيات الثلاث التي ورد فيها لفظ (الربانيين)، وهي على النحو التالي:

**قوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

**وقوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

**وقوله تعالى:** ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

**الدراسات السابقة:**

بعد البحث والاطلاع في مصادر الدراسات العلمية، ومراسلة مكتبة الملك فهد الوطنية، وجد الباحث أقرب الدراسات العلمية صلة بموضوع الربانية الدراسات التالية:

دراسة **مفهوم الربانية في المصطلح القرآني الكريم**، للباحث محمد الصعب[(١)]، وهدفت إلى تجلية مفهوم الربانية في المصطلح القرآني، وبيان الراجح من أقوال العلماء في ذلك، واستخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي، وتوصل إلى عدد من النتائج، من أهمها: أن الراجح من الأقوال: أن لفظ الربانية مشتق من رَبَى، ومن

(١) بحث: مفهوم الربانية في المصطلح القرآني الكريم، محمد الصعب، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢٧، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، (ص ١٧٧-٢٠٦).

الربّ بمعنى التربية، وفيه معنى الترقية بالشيء من الأدنى إلى الأعلى، والعمل على إصلاحه والعناية به، وأوصى بأن يكون التوصيف الشرعي لسمات العلماء الربانيين، ومعالم الدور الإصلاحي المنشود عن مثلهم؛ محل العناية المستفيضة من خلال دراسات علمية.

دراسة **ربانية الشريعة الإسلامية وأثرها على الفرد والأمة**، للباحث محسن علي طه[(١)]، وهدفت الدراسة إلى: بيان أثر خاصية ربانية الشريعة الإسلامية على الإنسان بشقيه المادي والروحي، وكيف تتحول هذه الخاصية إلى قوة روحية تحكم سلوك الإنسان وتدعوه إلى الاستجابة والعمل، واستخدم الباحث في دراسته المنهج التحليلي الوصفي، وخلصت الدراسة إلى نتائج، من أبرزها: أن ربانية الإسلام في مصدره وغايته، وبهذه الخاصية تميز منهج الإسلام على كل منهج على الأرض، وتنزّه عن كل مظاهر التناقض والتطرف، وربانية الغاية تحدد الهدف الأعظم لخلق الإنسان في تحقيق العبودية لله، فيعرف هدفه ووجهته، وتتناسق أعماله ومسيرة حياته، ويتحرر من الرق والعبودية لغير الله تعالى، وأوصى الباحث بوجوب إخضاع جميع المناهج التربوية، والتنظيمات الاجتماعية لخاصية الربانية؛ حتى تتحقق السعادة والراحة الدنيوية، والنجاة والخلاص في الآخرة.

دراسة **خصائص ربانيّة الدعوة وثمراتها**، للباحثة أفراح التركي[(٢)]، التي لخّصت أبرز أهداف الدراسة في: كشف الخصائص والثمرات المترتبة على ربانية الدعوة، والتعرف على العوائق التي تمنع من تحقيق ربانية الدعوة، وسبل علاجها،

(١) ربانية الشريعة الإسلامية وأثرها على الفرد والأمة، محسن علي طه، مجلة كليات التربية، جامعة عدن، العدد ١٣، مجلد ١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، (ص ٤٠٧-٤٣٢).

(٢) خصائص ربانيّة الدعوة وثمراتها، أفراح عبد العزيز التركي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٧هـ.

واستخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي في تتبع الجزئيات الخاصة بخصائص ربانية الدعوة وثمراتها، والمنهج الاستنباطي لبيان مفهوم الربانية وبعض خصائصها، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها: أن لربانية المصدر ثمرات عديدة على موضوع الدعوة والداعي والمدعو، ولربانية غاية الدعوة خصائص تميزها عن بقية الدعوات، أبرزها: الوضوح والإيجابية، والصحة والسلامة، والتوافق مع الفطرة، ووحدة الوجهة، والاستمرارية، والوسطية، والواقعية، وأوصت الباحثة بضرورة بذل المزيد من الجهد والبحث حول مجالات الدعوة المختلفة، والتصدي للشبهات المختلفة وتفنيدها، وإبراز الانحرافات عن الدعوة والتحذير منها.

وقد اتفقت هذه الدراسة مع دراسة (الصعب) في بيان مفهوم الربانية في اللغة واصطلاح المفسرين، ومع دراسة (محسن طه) في توضيح مفهوم الربانية في الاصطلاح التربوي، وأثر ربانية المصدر والغاية على الفرد والأمة، بينما اختلفت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بإبرازها للمعالم التربوية لمفهوم الربانية، وآثارها على الفرد المسلم، من خلال تدبّر النصوص القرآنية التي ورد فيها لفظ الربانية.

**خطة البحث:**

**المقدمة:** وفيها موضوع البحث، وأسئلته، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطته العلمية.

**المبحث الأول:** مفهوم الربانية في لغة العرب وكلام علماء الشريعة، موضحا فيها أقوال أهل اللغة وعلماء التفسير والسلوك في معنى الربانية.

**المبحث الثاني:** مفهوم الربانية في كلام علماء التربية، موضحّا فيه مقتضيات الربانية في علم التربية.

**المبحث الثالث**: معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية، حيث دلّت على سمات وصفات جليلة للحكماء والفقهاء من هذه الأمة، وأوضحت جلالة قدرهم، وعظم مكانتهم في المجتمع.

**الخاتمة**: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها هذا البحث، ثم ثبت المراجع ثم قائمة المحتويات.

أسأل الله تعالى بلطفه وإحسانه أن يتقبل هذا العمل، وأن ينفع به، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

## المبحث الأول

## مفهوم الربانية في لغة العرب وكلام علماء الشريعة

اختلفت أقوال أهل العلم في بيان مفهوم الربانية لاختلافهم في تحديد أصل اشتقاق الكلمة في لغة العرب، في حين أن بعضهم قد ذهب إلى اعتبار الكلمة غير عربية في أصلها، قال الأزهري: «قال أبو عبيد: وأحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانيَّة أو سُريانيَّة، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الرّبّانيّين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم»[(١)].

وأكثر آراء العلماء تدور حول معنيين للربانية، هما:

- أنها منسوبة إلى الربّ سبحانه وتعالى.
- أنها مشتقة من الفعل الثلاثي (رَبَى).

**فالقول الأول بأنها مشتقة من لفظ الجلالة (الرَّبّ) الذي هو الله تعالى؛ يُراد به: المنتسب إلى الله ﷻ ، والقريب منه على الدوام، وفيه دلالة شدة حرص الرباني على معرفة الله تعالى، والعلم به، والاجتهاد في طاعته وعبادته.**

قال ابن منظور: «قِيلَ: الرباني الذي يعبد الرب، زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب. وقال سيبويه: زادوا ألفا ونونا في الرباني إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره، كأنَّ معناه: صاحب علم بالرّبِّ دون غيره من العلوم»[(٢)].

وقال العيني: «والرباني: منسوب إلى الرب، وأصله الرّبِّي، فزيدت فيه الألف والنون للتأكيد والمبالغة في النسبة. وقال أبو المعاني في كتابه (المنتهى): في اللغة الرباني: المتألِّه العارف بالله تعالى»[(٣)].

---

(١) مجاز القرآن، (١/ ٩٧).

(٢) لسان العرب، (١/ ٤٠٣).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢/ ٤٣).

وباعتبار هذا الاشتقاق للربانية؛ فإنه لا يلزم من وُصف به أن يكون عالما معتبرا، فقيها محققا، قال ابن تيمية: «إذا قدر أنهم منسوبون إلى الرب: فلا تدل النسبة على أنهم علماء، نعم تدل على إيمان وعبادة وتألّه، وهذا يعمّ جميع المؤمنين، فكل منْ عبد الله وحده لا يشرك به شيئا فهو متألّه، عارف بالله»[(١)].

وكان كثير من العبّاد النسّاك في هذه الأمة يوصفون بالربانية حين يُذكرون، «ولما مات ابن عباس قال محمد ابن الحنفية: مات رَبَّانِيُّ هذه الأمة»[(٢)].

«وعليه، فالربانية -على هذا القول- لا تختص بالعلماء ولا بغيرهم من أصناف الناس، فكل من اتصف بأنه متأله في علمه وعمله، شديد التوجه إلى الله تعالى في قصده وتعبده؛ فهو رباني، ومنه العالم الرباني: أي العالم الذي زاد على عنايته بالعلم صحة قصده وتحريه للإخلاص لله تعالى وحده، مع عنايته بالتعبد لله في قوله وعمله... والله تعالى أعلم»[(٣)].

**والقول الثاني في بيان أصل اشتقاق كلمة الربانية؛ أنها مشتقة من الفعل الثلاثي (رَبَىَ)، ويُراد بها التربية، والتعليم، والرعاية، والإصلاح.**

والربّانيون بهذا الاعتبار هم الراسخون في العلم والفقه في دين الله، القائمون بأمانة التعليم، والتنشئة للناس.

قال الراغب: «الربُّ في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام، يقال: ربَّه، وربَّاه، وربَّبه»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١/ ٦٢).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (١/ ١٥).

(٣) مفهوم الربانية في المصطلح القرآني الكريم، مرجع سابق، (ص١٨٤).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، (ص٣٣٦).

وقال ابن الأثير: «الرب بمعنى التربية، كانوا يربون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها، والرباني: العالم الرّاسخ في العلم والدين»[١].

وقال الخطيب البغدادي: «فالعالم الرباني: هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد، وقد دخل في الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفه بما خالفها، ومعنى الرباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه»[٢].

وقد رجح الطبري أن الربانية بمعنى التربية والإصلاح، حيث قال: «وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني، وأن الرباني المنسوب إلى الرَّبَّان الذي يَرُبُّ الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويَرُبُّها ويقوم بها»[٣].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ كلاما نفيسا في بيان سمات الرباني، وجلالة قدره: «و(الربّاني) هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفتُ، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقيّ لله، والوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَليه المقسطون من المصْلحين أمورَ الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم ودنياهم»، ثم قال: «فالربانيون إذاً هم عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: وهم فوق الأحبار، لأن الأحبارَ هم العلماء، والرباني الجامعُ إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة، والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم»[٤].

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/ ١٨٨).

(٢) الفقيه والمتفقه، (١/ ١٨٢).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٦/ ٥٤٣).

(٤) المرجع السابق، (٦/ ٥٤٤).

وقد ورد عن جمع من الصحابة الكرام ﷺ وصف الربانيين بما يدل على هذا المعنى الجليل، وتبعهم عليه أعلام من السلف الصالح رحمهم الله.

قال ابن الجوزي: «فأما الربانيون: فروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: هم الذين يُغَذُّون الناس بالحكمة ويُربُّونهم عليها، وقال ابن عباس ﷺ وابن جبير: هم الفقهاء المعلمون، وقال قتادة وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء، قال ابن قتيبة: واحدهم رباني، وهم العلماء المعلمون»(١).

قال الزّبيدي: «والربانيّ: العالم المعلم الذي يَغْذُو الناس بصغار العلوم قبل كبارها... والرباني: العالم الراسخ في العلم والدين، أو العالي الدرجة في العلم، وقيل: الرباني: (المتألِّه العارف بالله تعالى)»(٢).

وقال ابن حجر: «وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره أي بالتدريج»(٣).

وبالنظر في القولين السابقين في تحديد أصل لفظ (الربانية)؛ يظهر – والعلم عند الله تعالى – أن أصل الاشتقاق واحد، سواء قيل هو من الرب عز وجل، أو من التربية، أو من الرب بمعنى الإصلاح والتعاهد، فأصل المعنى اللغوي في جميع الأحوال يعود إلى الإصلاح والقيام بالشأن.

وإلى ذلك أشار ابن عثيمين في قوله: «فالرباني منسوب إلى التربية وإلى الربوبية، فباعتباره مضافًا إلى الله: ربوبية، وباعتباره مضافًا إلى الإصلاح: تربية، ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ أي مخلصين للرب متعبدين له، ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ أي مربين للخلق على ما تقتضيه الشريعة»(٤).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، (٢/ ٢٩٨).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، (٢/ ١٦٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (١/ ١٢١).

(٤) تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران»، محمد بن عثيمين، (ص٤٥٤).

وجميع ما سبق يلتئم في اعتبار الربانيين فئة أخصّ من العلماء؛ جمعوا بين العلم والفقه والحكمة والبصيرة، والقيام على أمر إصلاح الناس، وحسن توجيههم وتعليمهم وتربيتهم وسياسة أمورهم.

## المبحث الثاني

## مفهوم الربانية في كلام علماء التربية

يُعنى علماء التربية ببيان خصائص التربية الإسلامية في مؤلفاتهم، والتي يظهرون بها تميّزها عن غيرها من أنواع التربية الأخرى.

ويجعلون في غرّة هذه الخصائص؛ خاصيّة (الربّانيّة)، التي هي عند كثير من أهل اللغة مشتقة من لفظ الجلالة (الربّ)، قال الراغب: «الربّانيّ: منسوب إلى الربّ، أي الله تعالى، فالرباني كقولهم: إلهي»[(١)]، وقال ابن منظور «قيل: الرباني الذي يعبد الرب، زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب. وقال سيبويه: زادوا ألفا ونونا في الرباني إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره، كأنَّ معناه: صاحب علم بالرّبِّ دون غيره من العلوم»[(٢)].

وبناء على هذا الاشتقاق فإن القصد بالربانية «أن أحكام الإسلام وتوجيهاته مصدرها الأصلي من الرب عزوجل، وليست نابعة من أهواء البشر»[(٣)].

ويبين أبو عراد المراد بربانية التربية الإسلامية أنها: «تستمد أصولها وأهدافها، ومنهجيتها وتوجيهاتها، ومبادئها وقيمها؛ من مصادر الدين الإسلامي الرئيسة»[(٤)]

وربّانيّة التربية الإسلامية «تربط سلوك الإنسان وتصرفاته المختلفة بأسس العقيدة الإسلامية ومضامين التشريع الإسلامي»[(٥)]، لأن الغاية العظمى من خلق الإنسان؛ تحقيق العبودية لله تعالى في كل شؤونه وأحواله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، (ص٣٣٦).

(٢) لسان العرب، (١/ ٤٠٣).

(٣) أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي، (ص ٤٥).

(٤) مقدمة في التربية الإسلامية، صالح أبو عراد، (ص ٥٦).

(٥) أصول التربية الإسلامية، محمد آل عمرو وآخرون، (ص ١٠٠).

فالإنسان في المنهج التربوي الإسلامي عبد خاضع لمولاه في كل حين، من اللحظة الأولى لوجوده، وحتى اللحظات الأخيرة من حياته، يعيش لله، وبالله، ومع الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والتربية الإسلامية ربانية في مصدرها ومنهجها ومنطلقاتها، «مبرّأة من كل نقص، منزّهة عن كل قصور، غايتها وصل الإنسان بخالقه، وإخلاص العبودية له سبحانه وتعالى»(١).

ويترتب على كون التربية الإسلامية ربّانيّة المصدر:

**١-** «خلوّها من النقص؛ وذلك لأن صفات الصانع تظهر فيما يصنعه، ولما كان الله ﷻ له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله؛ فإن أثر هذا الكمال يظهر فيما يشرعه من أحكام ومناهج.

**٢-** العصمة من التناقض، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

**٣-** البراءة من التحيّز والهوى، في حين لا يسلم منهاج وضعه البشر من التأثر بالأهواء المضلّة عن سبيل الله... »(٢).

وأجلّ مظاهر الربانية في التربية الإسلامية «دعوتها إلى الالتزام بما شرعه الله سبحانه وتعالى من حلال وحرام، والتحذير من اتباع القوانين البشرية الوضعية في ذلك...وحرصها على تنشئة المسلمين على إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى»(٣).

وربانية التربية الإسلامية تتكامل مع وسطيتها وتوازنها، وتيسيرها وواقعيتها، فهي تراعي فطرة الإنسان وطبيعته، وتتوافق مع جوانب القصور البشري

(١) التربية الإسلامية، عبد الله العقيل، (ص١٧).

(٢) مقدمة في التربية الإسلامية، محمود أبو دف، (ص١٩).

(٣) أصول التربية الإسلامية، محمد آل عمرو وآخرون، (ص ١٠١).

والضعف الإنساني؛ «ولا تعني التحليق بالمسلم في آفاق المثالية المطلقة، أو عزله عن مجتمعه، أو زهده في الحياة، وتقاعسه عن إعمارها والتفاعل مع أحيائها وموجوداتها، وإنما تعني أنها تربية إلهية خاضعة لشريعة الله وأحكامه، دون أهواء البشر وميولهم، وظيفتها رعاية المسلم وتنميته في حدود طاقته البشرية، واستعداداته الفطرية، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»[(١)].

(١) أصول التربية الإسلامية، محمد شحات الخطيب وآخرون، (ص ٣٥).

## المبحث الثالث

## معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية

إن الرباني قبلة عامة الناس؛ يصدرون عن رأيه، ويستنيرون بعلمه وخبراته، ويقتدون بأفعاله، ويشتدّون به في أوقات المحن والملمّات، ويلتئمون برحابة صدره وحسن أخلاقه.

وتتجلى معالم التربية الربانية التي يقتبسها المسلم من تدبّره لنصوص الربانية القرآنية في مظاهر عديدة، من أهمها:

**١. سموّ الغاية والقصد:**

وهو أجلّ المعالم ظهورا في سلوك الربانيين، الذين جرّدوا أقوالهم وأعمالهم من كل مقصود إلا الله تبارك وتعالى.

فربّانيتهم تبرز توحيد خالقهم بالغاية والمقصد، ودوام تعلّقهم به، وقربهم منه، ولهذا نسبهم الرب إليه، فقال: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ «أي كونوا منسوبين للرب، وهو الله تعالى، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه، ومعنى ذلك أن يكونوا مخلصين لله دون غيره»(١).

والربانيّون شهداء لله بما استحفظهم من كتابه، وجعلهم أمناء على وحيه؛ فلا يخشون أحدا إلا إياه، ولا يقدّمون شيئا على رضاه، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

إن تحقيق الإخلاص لله ﷻ، وتجريد الغاية والوجهة له؛ أوّل وأهمّ مقوّمات الربانية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) التحرير والتنوير، (٣/ ٢٩٥).

والعبد الربّانيّ نذر نفسه وما يملك لله تعالى، فأسمى غاياته، وأعظم مقاصده في بلوغ مرضاة ربه، فصار «لا يطلب لعمله شاهدا غير الله»[(١)].

قال ابن القيم: «الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة»[(٢)].

وإن الله تعالى يحب العبد الخالص له، المستغني به، المكتفي بفضله، أما إذا صارت للعبد نوع عبودية لشيء -سوى الله تعالى-؛ وقر في قلبه، أو ظهر على جوارحه، فإنه قادح في حصول الربانية، مانع من تحقّقها، وفي هذا المعنى يقول الفضيل بن عياض «والله ما صدق الله في عبوديته من لأحد من المخلوقين عليه ربانية»[(٣)].

قال المناوي: الإخلاص: «تخليص القلب من كل شوب يكدّر صفاءه»[(٤)].

وقد اصطفى الله تعالى عباده الربانيين بأعلى درجات التكريم، وأظهر فضلهم وقدرهم على سائر الخلق؛ نتيجة تحقيقهم الإخلاص في حياتهم، وتبرّيهم عن كل ما دون الله تعالى.

كما أخبر ﷻ عن حال نبيه يوسف عليه السلام، الذي قاوم كل وسائل الفتنة والإغراء التي بادرته بها امرأة العزيز، وصبر وصابر لوجه الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

قال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يوما؛ إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[(٥)].

---

(١) معجم التعريفات، للجرجاني، (ص ١٤).

(٢) مدارج السالكين، (٢/ ٩١).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢/ ٤١٩).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص ٤٢).

(٥) مدارج السالكين، (٢/ ٩٦).

إنّ سموّ غاية الربّانيّ، وتوحيد قصده ومراده؛ تثمر في سلوكه ثمرات عديدة؛ منها:

- تعلّق قلبه بالله تعالى، وقوة اتصاله بخالقه؛ في ليله ونهاره، في سرائه وضرائه، في قوته وضعفه، في شبابه وشيخوخته.
- تحقيق التوكّل الصادق على الله، والاعتماد التامّ عليه في كل الأمور والأحوال.
- استصغار ما يشغل عن الدار الآخرة من حطام الدنيا وملذّاتها.
- مخالفة النفس والشيطان فيما يخالف شرع الله وحدوده.

**٢. كثرة التألّه والتعبّد، وشدّة التمسّك بطاعة الله:**

تؤكّد عبارات السلف وأئمة التفسير ﷺ على دوام رعاية الرباني لقلبه بالتزكية والتهذيب، والاهتمام بإصلاح باطنه واستقامة ظاهره، والعناية الفائقة بالتبتّل والترقّي في درجات العبودية والإحسان، فذلك حال صفوة الخلق من الرسل والنبيين، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولا عجب من ذلك؛ فوصفهم بالربانية مشتق من اسم الرب ﷻ، قال ابن تيمية: «إذا قدر أنهم منسوبون إلى الرب: فلا تدل النسبة على أنهم علماء، نعم تدل على إيمان وعبادة وتألّه»(١).

والمسلم الرباني من يصطبغ سلوكه بالطاعة والتقى، والمجاهدة لنيل أعلى المقامات في عبودية القلب والجوارح، وصلاح الظاهر والباطن، وفاضل العلم والعمل.

وكلما زادت صلة العبد بربه، وكلما زكت روحه بالطاعات والقربات؛ كلما كان أحرى بالاصطفاء الرحماني، والولاية الربانية، قال تعالى في شأن الخليل وذريته من الأنبياء ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١/ ٦٢).

أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٢-٧٣].

إن الغاية من العلم النافع أن يعرِّف المرء بالله؛ فيُثمر ذلك الخشية من الله، وقوة التمسك بدين الله، فإن لم يتحقق ذلك؛ فقد يصبح العلم حجة على حامله، وخصما لمن يخالف عمله قوله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال السعدي: «فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٨] »[(١)].

والخشية هي: الخوف المبني على العلم والتعظيم، ومعرفة العبد بربه حقَّ المعرفة؛ لا بُدَّ أن توقع في قلبه خشية الله، لأنه إذا علم ذلك عَلِمَ عن ربٍّ عظيم، قويٍّ، قاهرٍ، عالمٍ بما يُسرُّ ويُخفي الإنسان، فتجده يقوم بطاعة الله عز وجل أتمَّ قيام.

أورد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن أبي الحسن العلوي البغدادي؛ قال: «سَمِعْتُ إبراهيم الخواص يقول: أول ما يهب الله تعالى للعالِم الرباني خشيته» [(٢)].

ولقد ضرب إمام الربانيين ﷺ أروع مثال في التأله والتعبّد لربه، وشدّة طاعته لله – وقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر– لأن الاصطفاء الرباني للمؤمن؛ لا يقابله صاحبه بأعظم من الشكر للمنّان، والاستزادة من التقرب من صاحب الفضل لتفضّله بأجلّ النعم؛ وهي نعمة التبتّل إلى الربّ، وشكره على إذنه بذكره، وتوفيقه لعبادته.

(١) تيسير الكريم الرحمن، (ص٦٨٨).

(٢) تاريخ بغداد، (١٦/ ٦١٣).

روى البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂ أنَّ نبيّ اللهَّ ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطّر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول اللهَّ، وقد غفر اللهَّ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحبّ أن أكون عبدا شكورا**»(١).

إنّ السمة البارزة للربانيين، والتي يشتركون في التخلّق بها، على اختلاف اهتماماتهم ومجالاتهم، وتنوّع أدوارهم في العمل لدين الله تعالى؛ هي كثرة التنسّك للربّ، وقوة الصلة بالله، ومجاهدة النفس في بلوغ مرتبة الإحسان في عبودية الله.

وإذا ارتقى العبد إلى مرتبة ولاية الله بإتقانه للفرائض، وحفاظه على النوافل؛ أسبغ المولى تعالى عليه محبته، وكان حافظا له في جميع أحواله، وسدده في سائر خطواته ولحظاته، ثم جاءته البشارة العظمى بعد مماته، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته**» رواه البخاري(٢).

ومن الآثار المباركة لتنسّك العبد، وشدة اجتهاده في طاعة الله:

- سلامة المعتقد، وقوة الثقة بالله، وصدق اليقين بما عند الله.

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٥ رقم ٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣٥ رقم ٤٨٣٧).

- عدم الخوف والرهبة إلا من الله تعالى.
- الاجتهاد في العبادة والتلذذ بالطاعة.
- سلامة الصدر وطهارة الباطن، ولا يحسد أحدا على ما وهبه الله.
- التواضع للخلق ورحابة الصدر.
- البذل والجود والتضحية في نصرة دين الله.
- الزهد في الدنيا، وعدم التعلّق بها، والرغبة في الآخرة، والاجتهاد لها.

### ٣. الرسوخ في علوم الشريعة:

وصف الله تعالى الربانيين بالتمكّن في العلم، وعنايتهم بتعليم الناس وتدريسهم؛ فقال جل وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فقوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ تأكيد على أثر العلم في رفعة المسلم إلى مرتبة الربانية، قال ابن كثير: «أَيْ: بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهروه ويعملوا به»(١).

وبيّن السعدي أوصاف الربانيين الذين أثنى الله عليهم في الآية السابقة ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ ، بقوله: «أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين، أي: العلماء العاملين المعلمين، الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين»(٢).

وقد امتدح الله العلماء في كتابه، وفضلهم على كثير من خلقه، فقال ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ١١٧).

(٢) تفسير السعدي، (ص٢١١).

وأخبر أنهم أهل الخشية والإجلال لله، فقال في شأنهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

كما جعلهم رسول الله ﷺ في صفوة الأمة؛ لاختصاصهم بميراث النبوة، فقال في حقهم: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١).

و «العالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد، وقد دخل في الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفه بما خالفها»(٢).

إن رسوخ المسلم في علوم الشريعة الغرّاء، والفقه العميق بمقاصدها ومراميها، والتبحّر في مصادر التشريع وأصوله؛ من أعظم سبل بلوغ مرتبة الربانية، فعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله عز وجل به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**»(٣).

قال ابن الجوزي: «فأما الربانيون: فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هم الذين يُغَذّون الناس بالحكمة ويُربُّونهم عليها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جبير: هم الفقهاء المعلمون، وقال قتادة وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء، قال ابن قتيبة: واحدهم رباني، وهم العلماء المعلمون»(٤).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٥/ ٤٨٥ رقم ٤٨٥)، والترمذي (٥/ ٨٢ رقم ٢٦٨٢)، وأحمد (٣٦/ ٤٦، رقم ٢١٧١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٩ رقم ٦٢٩٧).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (١/ ٣٤٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٥/ ٤٨٥ رقم ٣٦٤١)، والترمذي (٥/ ٤٨ رقم ٢٦٨٢).

(٤) زاد المسير في علم التفسير، (٢/ ٢٨٩).

ومن دلائل تفضيل العلماء وتشريفهم على غيرهم من عموم الناس؛ أن الله تعالى قرن اسمهم باسم المولى تعالى واسم ملائكته في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال القرطبي: «في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء»(١).

وأهل العلم هم قادة الناس وساستهم وأولي الأمر فيهم، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال البغوي: «هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة»(٢).

ولا ريب أن العلم الشرعي من أعظم وسائل تزكية النفس من كل ما يشوبها، وتطهيرها من كل ما يدنسها، وبه يترقى المسلم في مراتب الكمال، ويرتفع في مدارج الحكمة والولاية حتى يبلغ مرتبة الربانية.

ورسوخ العالم في العلم الشرعي يؤكد على معالم مهمة للغاية؛ منها:

- أهمية البناء العلمي المنهجي، والتمكّن من أصوله وفروعه..
- اجتهاده ومثابرته في تحصيل العلم، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك.
- أعظم العلوم وأجلّها وأزكاها؛ علوم الكتاب والسنّة وما تفرّع عنهما.
- أهمية الفقه والبصيرة بمقاصد الشريعة والواقع الذي يُراد تطبيقها فيه.
- وجوب الصبر والتحمّل في سبيل التعلّم، والتمكّن من أدواته.

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤/ ٤١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٢/ ٢٣٩).

- رفعة العلماء وعلوّ منزلتهم بما يحملونه من الفقه بكتاب الله وسنة رسوله، و(العلماء ورثة الأنبياء).

**٤. العمل بالعلم وحسن الامتثال والانقياد:**

العلم وسيلة، والغاية منه العمل والانقياد، والعلم والد، والعمل مولود، والعلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، "ولا يوصف العالم بكونه ربّانيّا حتى يكون عاملا بعلمه، معلما له" (١).

والعلم المحمود في الإسلام هو الذي ينفع حامله في العاجل والآجل؛ به تتهذّب نفسه، ويزكو عمله، وتستقيم جوارحه، وهكذا كان منهج النبي ﷺ في تربيته لأصحابه، كما جاء عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: «حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يُخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن، والعمل جميعًا» (٢).

«والرباني يبني نفسه ويبني غيره، يعمل بما علم، ويعلّم ما تعلّم»(٣).

والعلم الذي لا ينفع ولا يرفع؛ هو العلم الذي لا يورث عملاً، «وليس العلم بمجرد صورته هو النافع، بل معناه: وإنما ينال معناه من تعلمه للعمل به، فكلما دله على فضل، اجتهد في نيله، وكلما نهاه عن نقص، بالغ في مباعدته، فحينئذ يكشف العلم له سره»(٤).

وليس من الربانية في شيء؛ من تعلّم علوم الشريعة ولم يظهر أثرها على قلبه وجوارحه، لأن حامل العلم مؤاخذ بما يعلمه؛ إن لم ينتفع بعلمه، ولم يظهر أثره على واقعه، و«السلف مُجْمِعُون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف

(١) مفتاح دار السعادة، (١/ ٣٥٦).

(٢) تفسير الطبري، (١/ ٧٤).

(٣) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، (ص٢٧٠).

(٤) صيد الخاطر، (ص١٧٢).

الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلَّم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء»[(١)].

وقد أثنى المولى تعالى على النبيين والرسل والربانيين والعلماء؛ بحسن امتثالهم، وإسلام أمورهم لربهم، وانقيادهم لأوامره، فقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ...﴾ [المائدة:٤٤]، قال السعدي: «وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين، أي: العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين»[(٢)].

والعلم ليس مقصودا لذاته، ولا يحمد لمجرد جمعه وتحصيله، وإلا كان إبليس من أفضل خلق الله تعالى، وفي حديث أسامة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء برجل فيطرح في النار، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار، فيقولون: أي فلان، ألست كنت تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: إني كنت آمر بالمعروف، ولا أفعله، وأنهى عن المنكر، وأفعله**»[(٣)].

قال أبو الأسود الدؤلي:

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غيرَه ... هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السِّقام وذي الضَّنى ... كيما يصحَّ به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُقبلُ إن وعظتَ ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليمُ
لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثله ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[(٤)]

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/ ٩).
(٢) تفسير السعدي، (ص٢٣٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٥٥ رقم ٧٠٩٨)، ومسلم (٨/ ٢٢٤ رقم ٢٩٨٩).
(٤) أدب الدنيا والدين، (ص٤٢).

وإن التربية الربانية التي جاءت بها دعوة النبي ﷺ، والتي ننشدها واقعا حيّا في مجتمعاتنا؛ هي التي تُعنى بتحصيل العلم النافع، الذي يثمر عقيدة صحيحة، ونفسا زكيّة، وقلبا سليما، وسلوكا صالحا.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**» أخرجه مسلم (١).

وتظهر معالم القدوة والامتثال في العالم الرباني في مظاهر عديدة، منها:

- الاهتداء بهدي المرسلين، والاقتداء بسلوك العلماء الفقهاء، العاملين الحكماء .
- عنايته بالعلم الشرعي الذي ينفعه في العاجل والآجل.
- مراقبة النفس فيما تتعلمه وتتلقاه، بغية إدراك مرضاة الرب جل جلاله.
- موافقة عمله لقوله، ومطابقة سلوكه لمعتقده.
- فقه الأولويات، والعناية بالأهم قبل غيره في أبواب العلم والعمل.

**٥. الإيجابية والفاعلية في المجتمع:**

دلّت الآيات في أوصاف الربانيين على ما يحملونه في جنباتهم من همّ نفع العباد، والحرص على إيصال المعروف والخير لهم، فقد قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال السعدي: «والباء في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى؛ تكونون ربانيين»(٢).

كما أكّد الله تعالى على الدور الإيجابي للربانيين في نصح أقوامهم، وجلالة مهمتهم في دلالة الناس على الخير، ونهيهم عن الشرور والفساد، فقال ﷻ: ﴿لَوْلَا

(١) صحيح مسلم، (٨/ ٨١ رقم ٧٠٨١).

(٢) تفسير السعدي، (ص١٣٦).

يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٣]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: أُقسم: لبئس الصنيع كان يصنع هؤلاء الربانيون والأحبار، في تركهم نهيَ الذين يسارعون منهم في الإثم والعدوان وأكل السحت، عما كانوا يفعلون من ذلك »[(١)].

وقال السعدي: «هلا ينهاهم العلماء المتصدّون لنفع الناس، الذين منّ الله عليهم بالعلم والحكمة -عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر »[(٢)].

ومن هذا المنطلق؛ فإن العالم الرباني في هذه الأمة يوقف نفسه لله، ويبذل الغالي والنفيس لدعوة الناس إلى منهج الله، ويتطلع لأن يكون في قائمة من وصفهم ربهم بقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والعالم الرباني يقتدي بإمام الربانيين، وخاتم الرسل والنبيين ﷺ، الذي اصطفاه الله بهذه المنزلة؛ لأنه نذر نفسه لنفع الخلق، وعاش همومهم، وسعى بما يملك لقضاء حوائجهم، وتنفيس كرباتهم، فلما نزل عليه الملك بالوحي في غار حراء، ورجع فزعا إلى أهله؛ يقول: «**زملوني زملوني** فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: **لقد خشيت على نفسي** فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، **إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**» أخرجه البخاري في صحيحه[(٣)].

(١) تفسير الطبري، (١٠/ ٤٤٨).
(٢) تفسير السعدي، (ص٢٣٧).
(٣) صحيح البخاري، (٣/ ٩٨ رقم ٦٩٨٢).

فكانت أم المؤمنين خديجة ﵂ تدرك أن من أبرز مؤهلات الاصطفاء الرباني، وأهمّ مقومات القيادة المجتمعية، التي ملكها رسول الله ﷺ؛ هي العطاء للآخرين، والنفس السخيّة الباذلة في نفع الخلق، والرحمة بهم، والعيش معهم، ومحبتهم وإكرامهم.

لأن «الربَّانيُّين يُربُّون الناس بمواقفهم قبل كلامهم، وبسمتهم وهديهم قبل حديثهم »[(١)].

والرباني لا يكلّ، ولا يملّ من بذل المعروف، ونشره وتقديمه للخلق، ولا يعرف الكسل ولا العجز في حماية العباد من الشرور والمنكرات، ولا يداخله يأس أو إحباط من نصرة الحق ورفع الظلم عن الناس، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

ينقل ابن حجر عن ابن الأعرابي قوله: «لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالما معلما عاملا »[(٢)].

والمسلم مطالب ببذل ما يقدر عليه من المعروف والخير، ولا ينتظر النتيجة والأثر، ولا يستعجل الثمرة والاستجابة.

وفي حديث أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**» رواه البخاري في الأدب المفرد [(٣)].

والمسلم الرباني يعلم أن انتسابه لدين الإسلام، وانتماءه لمجتمعه وموطنه، وعضويته في كيان أمته؛ كلها تملي عليه أن يكون فردا فاعلا أيّا كان موقعه، معطاء

(١) مواعظ الصحابة، (ص٢٦٤).

(٢) فتح الباري، لابن حجر، (١/ ١٦٢).

(٣) الأدب المفرد للبخاري، (رقم ٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، (ص١٨١ رقم ٣٧١).

في كل أحواله، مبادرا بكل إمكاناته، مساهما بنفيس قدراته وطاقاته، وفي الحديث النبوي: «**وفي كل كبد رطبة أجر**» رواه البخاري[(١)].

والتربية الربانية تغرس في وجدان المسلم الفاعلية والمبادرة في كل أحواله، حتى يكون كما شبهه رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن مثل النخلة؛ ما أخذت منها من شيء نفعك**» رواه الطبراني، وصححه الألباني[(٢)].

والرباني لا يكون أبدا منكفئا على نفسه، أنانيا في اهتماماته، بطيئا في تفاعله مع هموم مجتمعه، وقضايا إخوانه وأمته، بل هو سبّاق لنفع الخلق، مخالط لهم، صابر على أذاهم، ناصح لهم، مشفق عليهم، ساعٍ لراحتهم وسعادتهم، يبتغي بذلك ثواب ربه ومرضاته.

قال ابن القيم: «والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير والشر، مخالطتُه للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح»[(٣)].

وهذه الإيجابية والفاعلية هي التي دفعت مؤمن آل يس إلى أن يتّجه إلى قومه ناصحاً ومشفقاً، كما حكى الله عنه في كتابه الكريم: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس:٢٠-٢٥]، وهي التي أثارت حفيظة النملة على قومها، فبادرت ساعية لنجاتهم وحمايتهم من الهلاك، قائلة لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

(١) صحيح البخاري، (٢/ ٧٠٥ رقم ٢٣٦٣).

(٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته، (رقم ٥٨٤٨).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (١/ ٢١٧).

وتتجلى مظاهر الفاعلية في حياة الربانيين، في مظاهر عديدة، منها:

- الغيرة على محارم الله، والحمية لدينه، وشعائره، وحرماته.
- الصبر في سبيل الله، وتحمل الأذى والمتاعب لنصرة الحق.
- الشعور بالجسد الواحد، والاجتهاد في تحقيق التكافل مع سائر المسلمين.
- الجود والبذل والكرم في سائر أحوالهم وأعمالهم.
- فقه الأولويات في حياتهم، والتوازن والاعتدال في اهتماماتهم.
- التفاؤل الإيجابي، وارتفاع الروح المعنوية.
- الانصراف عن النقد السلبي إلى العمل الإيجابي، والمشروعات البنّاءة المثمرة.

## الخاتمة

إن العيش مع كتاب الله تعالى، وتدبّر سوره وآياته؛ يفضي بصاحبه إلى الارتواء من معانيه الجليلة، وتزكية الروح بمضامينه، والارتقاء بعلومه ومدلولاته، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقد وفّق الله تعالى الباحث للوقوف مع الآيات التي ورد فيها ذكر (الربانيين) في القرآن الكريم، وتطرّق إلى مجمل أقوال أهل اللغة وعلماء التربية والشريعة لمفهوم الربانية، ثم اجتهد في استنباط معالم التربية الربانية من الآيات الثلاث، وخرج بنتائج للبحث، يسرد أهمها فيما يلي:

١. أصل اشتقاق لفظ (الربانية) واحد، والرباني منسوب إلى التربية وإلى الربوبية، فباعتباره مضافًا إلى الله: ربوبية، وباعتباره مضافًا إلى الإصلاح: تربية.

٢. الربانيون فئة أخصّ من العلماء؛ جمعوا بين العلم والفقه والحكمة والبصيرة، والقيام على أمر إصلاح الناس، وحسن توجيههم وتعليمهم وتربيتهم وسياسة أمورهم.

٣. ربّانيّة التربية الإسلامية تعني أنها مبرّأة من كل نقص، منزّهة عن كل قصور، غايتها وصل الإنسان بخالقه، وإخلاص العبودية له سبحانه وتعالى، تُخضع المسلم لشريعة الله وأحكامه، دون أهواء البشر وميولهم.

٤. أجلّ سمات الربانيين سموّ غايتهم، وجلالة مقصدهم، فلا يطلبون شاهداً لأعمالهم غير الله تعالى.

٥. يمتاز الربانيون برسوخهم في علوم الشريعة، وجمعهم بين العلم والحكمة والفقه في الدين، ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٦. الربانيون أكثر الناس تألّهاً وتعبّداً، وأشدّهم تمسّكاً بطاعة ربّهم وامتثالاً، ووصفهم بالربانيّة لقوة صلتهم بربّهم.

٧. الربّانيّون علماء بالله، عاملون بشريعة الله، جمعوا بين الفقه والعمل، وتخلّقوا بأخلاق العلم ظاهرا وباطنا، «ولا يوصف العالم بكونه ربّانيّا حتى يكون عاملا بعلمه، معلما له» (١).

٨. التربية الربانية تغرس في وجدان المسلم أن يكون فردا فاعلا أيّا كان موقعه، معطاء في كل أحواله، حتى يكون كالنحلة؛ سبّاقا لنفع الخلق، صابرا على أذاهم، ناصحا لهم، مشفقا عليهم، ساع لراحتهم وسعادتهم.

٩. المسلم الرباني لا يكلّ، ولا يملّ من بذل المعروف، ونشره وتقديمه للخلق، ولا يعرف الكسل ولا العجز في حماية العباد من الشرور والمنكرات، ولا يداخله يأس أو إحباط من نصرة الحق ورفع الظلم عن الناس.

ويوصي الباحث في ختام بحثه بأهمية إبراز معالم التربية الربانية، والعناية بها في مناهج المؤسسات التربوية المختلفة، وأن تستثمر البرامج والتطبيقات التقنية في تقديم هذه المعالم في قوالب حديثة جاذبة للنشء.

كما يوصي الباحث بضرورة الكتابة في سير الربانيين، ومدارسة تراجم حياتهم، والكشف عن جوانب الربانية التي تحلّوا بها، والمقومات التي ساعدت على تحقيقها في سلوكياتهم وحياتهم.

والله تعالى أسأل أن يجعله هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، نافعا وشافعا لكاتبه وقارئه، إنه سميع مجيب،،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

(١) مفتاح دار السعادة، (١/ ٣٥٦).

## فهرس المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.

١. **أدب الدنيا والدين**، علي بن محمد الماوردي، ت: ياسين السّواس، دار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤٢٩هـ.

٢. **أصول التربية الإسلامية**، خالد بن حامد الحازمي، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣. **أصول التربية الإسلامية**، محمد شحات الخطيب وآخرون، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٤. **أصول التربية الإسلامية**، محمد عبد الله آل عمرو وآخرون، (د.ن)، بيشة، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

٥. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)**، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د.ط) (د.ت).

٦. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٧. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، (د.ط) (د.ت).

٨. **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ١٩٨٤هـ.

١٠. **التربية الإسلامية**، عبد الله بن عقيل العقيل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١١. **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٤١٩هـ.

١٢. **تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران»**، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٣٥ هـ.

١٣. **تفسير القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٣، (د.ت).

١٤. **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد بن علي المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

١٥. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

١٦. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

١٧. **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

١٨. **خصائص ربانيّة الدعوة وثمراتها**، أفراح عبد العزيز التركي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٧هـ.

١٩. **ربانية الشريعة الإسلامية وأثرها على الفرد والأمة**، محسن علي طه، مجلة كليات التربية، جامعة عدن، العدد ١٣، مجلد ١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، (ص ٤٠٧-٤٣٢).

٢٠. **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢١. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٢٢. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢٣. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٢٤. **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٥. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ت: جماعة من العلماء بإشراف محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ.

٢٦. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢٧. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٢٨. **صيد الخاطر**، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٩. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عطاءات العلم، الرياض، ط٤، ١٤٤٠هـ.

٣٠. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٣١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٩هـ.

٣٢. **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، علي خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣٣. **الفقيه والمتفقه**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت: عادل الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ٢، ١٤٢١هـ.

٣٤. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٣٥. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، ت: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، (د، ط)، ١٣٨١هـ.

٣٦. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، (د.ط)، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٣٧. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٨. **المسند**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٣٩. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ.

٤٠. **معجم التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، ت محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٤م.

٤١. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: عبد الرحمن قائد، دار عطاءات العلم، ط٣، ١٤٤٠هـ.

٤٢. **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢٣هـ.

٤٣. **مفهوم الربانية في المصطلح القرآني الكريم**، محمد الصعب، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد ٢٧، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، (ص ١٧٧-٢٠٦).

٤٤. **مقدمة في التربية الإسلامية**، صالح بن علي أبو عراد، الدار الصولتية للتربية، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤٥. **مقدمة في التربية الإسلامية**، محمود خليل أبو دف، (د.ن)، ط٣، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٤٦. **مواعظ الصحابة**، عمر بن عبد الله بن محمد المقبل، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ.

٤٧. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٤٨. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٤٩. **هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا**، محمود محمد الخزندار، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الملخص | ٢٠١ |
| المقدمة | ٢٠٢ |
| موضوع البحث | ٢٠٤ |
| أهداف البحث وأهميته | ٢٠٦ |
| منهج البحث | ٢٠٦ |
| حدود البحث | ٢٠٧ |
| الدراسات السابقة | ٢٠٧ |
| خطة البحث | ٢٠٩ |
| **المبحث الأول:** مفهوم الربانية في لغة العرب وكلام علماء الشريعة | ٢١١ |
| **المبحث الثاني:** مفهوم الربانية في كلام علماء التربية | ٢١٦ |
| **المبحث الثالث:** معالم التربية الربانية في النصوص القرآنية | ٢١٩ |
| ١. سموّ الغاية والقصد | ٢١٩ |
| ٢. كثرة التألّه والتعبّد، وشدّة التمسّك بطاعة الله | ٢٢١ |
| ٣. الرسوخ في علوم الشريعة | ٢٢٤ |
| ٤. العمل بالعلم وحسن الامتثال والانقياد | ٢٢٧ |
| ٥. الإيجابية والفاعلية في المجتمع | ٢٢٩ |
| الخاتمة | ٢٣٤ |
| فهرس المصادر والمراجع | ٢٣٦ |
| فهرس الموضوعات | ٢٤٠ |